

حل العقدة في متناول يدنا (مقتطف) / لينين

لقد تلت وعود الدستور افطع واقبح اعمال العنف وحشية ، وبدا انها صممت خصيصا بقصد ان تعطي الشعب بعد موضوعا صارخا عن المغزى الحقيقي لسلطة الاوتوقراطية الفعلية . ان التناقض بين الوعود والكلمات وقصاصات الاوراق ، من ناحية ، وحقائق الواقع من ناحية اخرى قد بدت اكثر اتضاحا بما لاحد له . لقد بدأت الاحداث تزودنا بتاكيد صارخ عن حقيقة اعلانها منذ زمن طويل لقراءنا ، وسوف نكررها المرة بعد الاخرى ، أي ، الى ان يطاح بالسلطة الفعلية للقيصرية ، فان كل تنازلاتها ، حتى ان بلغت جمعية تأسيسية ، هي سراب ، وهم ، ونتف من الخداع .

وقد جعل عمال بطرسبورج الثوريون هذا الامر واضحا تماما في واحدة من نشراتهم اليومية {٣} التي لم تصلنا بعد ، ولكن وردت الاشارة اليها المرة بعد المرة في الصحافة الاجنبية ، التي صعقتها وأخافتها سطوة البروليتاريا . كتبت لجنة الاضراب "لقد منحنا حرية الاجتماع (اننا نترجم من الانجليزية الى الروسية) مرة اخرى - المترجم { من هنا يتأتى بعض من عدم الدقة التي لايمكن تجنبها في الصياغة) " ولكن اجتماعاتنا يحاصرها الجنود . وقد منحنا حرية الصحافة ، لكن الرقابة متواصلة . لقد وعدونا بحرية التعليم ، ولكن الجامعة تحتلها قوات الجيش . لقد وعدونا بحرمة الاشخاص ، ولكن السجن تكتظ بالمعتقلين . لقد منحونا (الوزير الديبلوماسي - المترجم) ویتی ، ولكن لايزال ترييوف (الشرطي القمعي - المترجم) موجودا . لقد منحونا دستورا ، لكن الاوتوقراطية لازالت قائمة . لقد منحنا كل شئ ولكن ليس لدينا أي شئ . "

لقد علق ترييوف "بيان" القيصر . ووقف ترييوف الدستور . والمغزى الحقيقي للحريات قد اوضحه نفس الترييوف . كما وأد العفو الشامل بواسطة ترييوف .

ولكن من هو ترييوف هذا ؟ هل هو شخصية فذة ، وتمثل ازاحته دلالة خاصة ؟ لاشئ من هذا القبيل . انه احد اكثر رجال الشرطة عادية ، الذي يقوم بالعمل اليومي للقيصرية ، وتحت أمره العسكريون والشرطة .

ولكن لم تصادف ان هذا الشرطي وهو غاية في العادية بعمله "الروتيني" قد اكتسب فجأة مثل هذه الاهمية الاستثنائية . حدث هذا بسبب ان الثورة قد حققت تقدما عظيما ، وجعلت الحل اقرب . ان الشعب الذي تقوده البروليتاريا يصبح اشد نضجا من الناحية السياسية كل يوم ، لا ، بل كل ساعة ، او ، ان شئت ليس بالعام وانما

بالاسبوع . بينما كان ترييوف بالنسبة لشعب نائم سياسيا مجرد شرطي غاية في العادية ، الا انه بالنسبة لشعب وعابات بالنسبة له قوة سياسية ، اصبح لا يحتمل ، لانه يشخصن كل وحشية ، واجرامية وبلادة القيصرية .

الثورة تعلم . انها تزود كل طبقات الشعب وكل قوميات روسيا بدرس ممتاز حول طبيعة الدستور .

الثورة تعلم حين تضع في الصدارة المهام السياسية الملحة المباشرة ، في اشد اشكالها وضوحا وضغطا ، فهي تدفع هذه الجماهير الى ان تدرك هذه المهام ، وتجعل جماع وجود الشعب مستحيلا ، بدون انجاز هذه المهام ، انها تعري تفاهة كل مظاهر ، المراوغات ، والوعود ، والاعترافات ، على تباينها . "لقد منحونا كل شئ ولكن ليس لدينا شئ" . بالفعل لقد "منحونا" وعودا فقط ، ما دمنا لا نملك سلطة فعلية . لقد اقتربنا من الحرية ، وقد اجبرنا الكل على اختلافهم ، حتى القيصر على ان يعترف بالحاجة للحرية . وما نريده على أي حال ليس الاعتراف بهذه الحاجة ، وانما بالحرية ذاتها . نحن لا نريد قصاصة من ورق تتضمن وعودا بسلطة تشريعية لممثلة الشعب ، وانما نريد السيادة الفعلية للشعب . وكلما اقتربنا اكثر من هذه السيادة ، كلما اصبح غيابها لا يطاق اكثر . وكلما كانت بيانات القيصر اكثر اغواءا، كلما بات حكمه بالنسبة لنا لا يحتمل .

سيصل الصراع الى منتهاه ، وهو الاجابة على سؤال ما اذا كانت السلطة الفعلية ستظل في يد حكومة القيصر . بالنسبة للاعتراف بالثورة ، فقد جرى الاعتراف بها الان بصفة عامة . وقد تم الاعتراف بها منذ زمن طويل من جانب السيد ستروفه وسادة جريدة اسفوبوجدينيه . وقد اعترف بها الان السيد ويتي ونيقولا رومانوف . "انني اعدكم بأي شئ ترغبون فيه" هكذا يقول القيصر "دعوني فقط احتفظ بالسلطة، دعوني انجز وعودى الخاصة" . هذا هو لب بيانات القيصر ، وغرضها ان تخمد النضال المقرر . يعلن القيصر "يمكن ان امنحكم كل شئ عدا السلطة" ويجب الشعب الثوري "كل شئ عدا السلطة وهم" .

ان المغزى الحقيقي لتلك البلادة البادية التي وقعت فيها الشؤون الروسية يكمن في رغبة القيصر في خداع الشعب وتجنب الثورة بعقد صفقة مع البورجوازية . يبذل القيصر وعودا اعظم للبورجوازية ، بأمل ان تتجه الطبقات المالكة ، والناس ، اخيرا نحو "القانون والنظام" . كيفما كان الامر ، بينما يتمثل "القانون والنظام" في تجاوزات ترييوف والمائة السود ، فان نداء القيصر يبدو على الاغلب وكأنه صوت صارخ في البرية . ان القيصر يحتاج كلا من ويتي وترييوف بقدر متساو -- ويتي من اجل ان يجتذب البعض . وترييوف من اجل ان يروع البعض الاخر ، ويتي من

اجل الوعود ، وترييوف من اجل العمل ، وبيتي من اجل البورجوازية ، وترييوف من اجل البروليتاريا . يتكشف امام اعيننا مرة اخرى ، وعلى مستوى اعلى من التطور فحسب هذه المرة ، مشهد يماثل ماشهدناه في بداية اضرابات موسكو – يقوم الليبراليون بالتفاوض بينما ينهض العمال بالقتال .

لدى ترييوف فهم ممتاز لدوره ومغزاه الفعلي . وربما كان الى حد ما متهورا للغاية قياسا بالديبلوماسى وبيتي ، ولكنه كان خائفا من ان يتخلف بفعل التطور السريع للثورة . بل انه كان مضطرا لأن يتهور ، لأنه يدرك ان القوات التى تحت امرته اخذة في الضعف .

بالتزامن مع بيانها حول الدستور ، بدأت الاوتوقراطية في اتخاذ خطوات لاعاقه صدور الدستور . لقد شرع المائة السود في العمل بطريقة لم تشهدا روسيا من قبل. تردنا تقارير عن مجازر ، ومذابح ، واعمال غير مسبوقه من الوحشية تتدفق من كل انحاء روسيا . ان الارهاب الابيض عنيف . و تقوم الشرطة عندما يكون في مستطاعها بتحريض وتنظيم حثالة المجتمع الرأسمالي لممارسة النهب والعنف ، مغرقة نفاية السكان الحضريين بالمشروبات الروحية ، ناصبة مذابح لليهود ، محرضة على العنف ضد "الطلاب" والمتمردين ، مساعدة في تأديب "اعطاء درس" لأعضاء الزيمستفو (هيئة بلدية – المترجم) . تعمل الثورة المضادة بكامل طاقتها . وقد برهن ترييوف على انه جدير بلقمة خبزه . تطلق المدافع الالية نيرانها (في اوديسا) ، وتفقأ الاعين (في كييف) ، و يلقى بالناس من الطوابق العليا الى الشارع ، وتؤخذ المنازل عنوة ويترد من فيها ، وتشعل الحرائق ولا يسمح لأحد باطفاءها ، وهؤلاء الذين يجروون على ابداء مقاومة للمائة السود يرمون بالرصاص . من بولندا الى سيبيريا ، من شواطئ خليج فنلندا الى البحر الاسود – تظهر لنا الصورة نفسها .

ولكن بالتزامن مع انفجار وحشية المائة السود ، مع هذا الاحتفال الذي هيأته الاوتوقراطية ، هذه التشنجات الاخيرة للوحش القيصري ، فان هناك هجمات غضة تشنها البروليتاريا وهي كالعادة تبدو فقط وكأنها تهدأ بعد كل نهوض في الحركة . في الواقع الفعلي ، فانها تجمع قواها فحسب وتستعد لتوجيه ضربة حاسمة . ولأسباب سبق ان ذكرناها ، فان فظاعات الشرطة في روسيا قد اكتست طابعا مختلفا تماما عما جرى في الماضي . توازي انفجارات انتقام القوزاق بانتقام ترييوف ، تبين ان قوة القيصر تتحلل بسرعة . ويمكن ان نلاحظ هذا في المقاطعات، وفي فنلندا ، وفي سانت بطرسبورج ، ومن الواضح ان ذلك يتجلى في الاماكن التى يكون فيها الناس في ادنى الاوضاع ويبدون اقل تطورا من الناحية

السياسية في المناطق الطرفية ويفتقر المكان الى وجود سكان روس ، وكذلك في العاصمة ، التي تعد بأ ن تكون مسرحا لدراما الثورة العظمى .

المصدر : لينين ، الاعمال الكاملة ، المجلد التاسع ، ص ص ٤٤٧ – ٤٥٤ ، دار
التقدم ، موسكو ، ١٩٧٢